المؤسسـة الدينيـة فيدولـة القدس الصليبية

د. مصعب حمادي نجم الزيدي
أستاذ مساعد / كلية العلوم الإسلامية
جامعة الموصل

ملخص البحث :

يهدف هذاالبحث إلىتسليط الضوء على الحياة الدينية التي عاشها رجال الدين اللاتين في الأراضي المقدسة خلال عصر الحروب الصليبية ، ولكون الموضوع من المواضيع المهمة التي لم تنل حظها من الدراسة فقد وقع اختيارنا عليه ليكون موضوعا للدراسة وهدفا للبحث .

ومن جانب آخر كانت الأطماع المادية وتحقيق مكاسب سياسية في الشرق هي الأهم في نظر رجال الدين ، ولم يكن للعامل الديني أي اعتبار في نفوسهم بل اتخذوه ذريعة لتنفيذ مآربهم ومخططاتهم الهادفة إلى الإستيطان في الأراضي المقدسة بالقوة ورغما عن إرادة شعبها ويتجسد ذلك من خلال عمليات القتل والسلب والنهب وطرد المسلمين والنصارى الشرقيين من بلادهم وهم أصحاب الأرض الأصليين .

كما تطرق البحث إلى إيضاح دور رجال الدين اللاتين في تحقيق هدفهم الأول الذي قدموا من أجله وهو إقامة دولة صليبية جديدة في الشرق وإنشاء بطريركية لاتينية على حساب أصحاب البلاد الأصليين الذين كانوا لا يملكون حولا ولا قوة ، غير أن الخلافات سرعان ما ظهرت بين رجال الدين اللاتين حول انتخاب بطريرك لاتيني للقدس الأمرالذي أدى إلى إنقسامهم إلى عدة أحزاب متنافرة فيما بينها وإنتشار ظاهرة الدسائس والمكائد بينهم وهذا بطبيعة الحال انعكس في نهاية الأمر على فشل مخططاتهم في إقامة حكومة دينية يحكمها بطريرك القدس .

كذلك تناول البحثسياسة رجال الدين في الأراضي المقدسة وقيامهم ببناء عدد من المؤسسات الدينية من كنائس واديرة واسقفيات لاتينية في البلاد التي إحتلوها إنسجاما مع الحاجات الدينية للسكان الأوربيين الجدد القادمين من الغرب إلى الشرق، هذا فضلا عن التنظيم الكنسي الذي إعتمدته المؤسسة الدينية في دولة القدس الصليبية .

وتضمن البحث الإشارة إلى إعتماد المؤسسة الدينية جهازا قضائيا تمثل بالمحاكم الكنسية الخاصة برجال الدين اللاتين مثلما كان متبعا في الغرب الأوربي ، كما تطرق إلى الموارد المالية التي تحتاجها المؤسسة الدينية لسد إحتياجاتها وتغطية نفقاتها بضريبة العشر الديني المفروضة على المسلمين والنصارى القاطنين في المناطق الخاضعة لدولة الإحتلال الصليبي فضلا عن فرضها على الكنائس والأديرة التي تقع ضمن مناطق النفوذ الكنسي .

وفوق ذلك كله تناول البحث الصراع والتنافس بين المؤسسة الدينية المتمثلة بسلطة بطاركة القدس والسلطة الزمنية المتمثلة بالملوك الصليبيين حول إدارة دفة الحكم في الدولة الصليبية فضلا عن الخسائر التي تعرضت لها المؤسسة الدينية عقب إنتصار المسلمين على الصليبيين في معركة حطين سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م ، وما رافق ذلك من فقدان بطريركية القدس مراكز أسقفية عديدة ومعظم الكنائس والأديرة في الأراضي المقدسة وأهمها كنيستي القيامة والمهد .

وأخيرا أشار البحث إلى قيام رجال الدين اللاتين بإعادة تنظيم المؤسسة الدينية في مدينة عكا بسبب سوء أوضاع بطريركية القدس وعدم إستقرار حدودها منذ معركة حطين فضلا عن إزدياد النشاط العسكري الإسلامي ضد المعاقل

الصليبية ولا سيما بعد معركة عين جالوت سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م ، حتى تم تحرير جميع البلاد الإسلامية المحتلة وطرد الصليبيين منها نهائيا سنة ٦٩٠هـ/١٢٩١م .

البحث

أعلن الصليبيون منذ بداية زحفهم من الغرب الأوربي تجاه الأراضي المقدسة في فلسطين أن هدفهم هو تحرير هذه الأراضي من المسلمين حسب زعمهم ولذلك حملوا شارة الصليب على صدورهم غير أن الهدف الحقيقي مناقض لما أعلنوه ، فعلى الرغم من وجود دوافع وأسباب عديدة (١) لانطلاق الحروب الصليبية ضد المشرق الاسلامي إلا أن أحد أهم الدوافع التي شجعت الصليبيين على السير الى الأراضي المقدسة والإستيلاء عليها هو رغبة الكنيسة اللاتينية الغربية في نشر المذهب الكاثوليكي في جميع أنحاء العالم آنذاك حتى لو أضطرت إلى استخدام السلاح من أجل تحقيق هدفها (٢) .

وقد وضع الصليبيون هذه الفكرة صوب أعينهم حتى قبل وصولهم الأراضي المقدسة وقرروا إختيار أساقفة من بينهم على عرش الأسقفيات الأرثوذكسية في البلاد التي يحتلونها (٣) ، ويتجسد ذلك بوضوح عندما استولى الصليبيون على مدينتي اللد والرملة في أوائل شهر رجب سنة ٤٩٢هـ / حزيران ١٠٩٩م (٤) حيث وجدوا الكرسي الأسقفي شاغراً هناك ، فعقدوا اجتماعاً لانتخاب أسقف لاتيني للمدينتين ، وقد وقع اختيارهم على روبرت روين Robert Rouen (٥) ليكون أسقفاً للمدينتين والمناطق المحيطة بهما (٤٩٢ – ٥٠٤هـ /١٠٩٩– ١١١٠م) (٦) .

أما مدينة القدس فكانت عشية الاحتلال الصليبي لها في أواخر شهر رجب سنة ٤٩٢هـ /٧ حزيران ١٠٩٩م مجرد أسقفية تابعة لأسقفية قيسارية (٧) ، وكان من المتوقع أن تقوم حكومة دينية في القدس غير أن ذلك لم يتحقق لثلاثة عوامل الأول : انصياع رجال الدين لقرار الأمراء حول الرئاسة العلمانية لظروف خارج إرادتهم (٨) ولاسيما انه لم تكن هناك قيادة بابوية منذ وفاة المندوب البابوي أدهمير أسقف بوي Adhemar bishop puy في مدينة انطاكية سنة ٤٩١هـ / ١٠٩٨م (٩) .

ولكن بعد مرور عدة أيام على انتخاب الأمير جودفري بويون حاكماً لمملكة بيت المقدس الصليبية (٤٩٢– ٤٩٣هـ /١٠٩٩– ١١٠٠م) أختير أرنولف مالكورن Arnulf Marikoron قسيس الدوق روبرت النورماندي Robert Normandy بطريركاً للقدس في الأول من شهر آب سنة ٤٩٢هـ / ١٠٩٩م (١٠) ويعود سبب هذا الاختيار أن بطريرك القدس قبل الاحتلال الصليبي ويدعى سمعان الأرثوذكسي كان قد ذهب الى قبرص في مهمة دينية وصادف أن توفي هناك فظل كرسي البطريركية شاغراً لمدة خمسة أشهر (١١) وقد أشار الشارتري أن الصليبيين عقب احتلالهم للقدس لم يعينوا بطريركاً لها على اعتبار أن ذلك لم يكن من اختصاصهم وإنما من اختصاص البابا أوربان الثاني Urban II (٤٨١ – ٤٩٢هـ / ١٠٨٨ – ١٠٩٩م) في روما (١٢) .

ومهما يكن من أمر فقد ألتف الكاثوليك حول قيادة أرنولف الذي ينسب اليه كل شيء باستثناء التدين لأنه كان مشهوراً بحياته المسفهة وما كان بإمكانه أن يسمو الى رئاسة القدس الروحانية لولا رعاية الدوق روبرت ، وبدأت المشكلة تتأزم بين أرنولف والأرثوذكس حينما عمد الى مصادرة الأملاك الدينية الأرثوذكسية ثم أمر باضطهاد زعمائهم

حينما رفضوا تسليمه الصليب المقدس وبذلك انقلبت أفراح النصارى الشرقيين في الأراضي المقدسة أحزاناً وهم الذين استقبلوا الجيوش الصليبية بالدموع والدماء (١٣) .

أما العامل الثاني فكان سوء سيرة دايمبرت البيزي Dimbert pisa الذي أثار مع بوهيمند Bohemond I أمير انطاكية (٤٩٠ – ٤٩٨ هـ / ١٠٩٨ – ١١٠٤ م) قضية بطريركية القدس اثر اختيار أرنولف ، إذ عدوا اختياره لهذا المنصب كان بسبب تأثير الأمراء المقربين من الامير جودفري من دون رغبة وموافقة رجال الدين الذين أشترطوا بان البطريرك يجب أن يكون له تدرج وظيفي رسمي في دويلة كرست جهدها من أجل الدفاع عن القبر المقدس ، وكذلك أن يكون مدافعاً ومساعداً له ، وقد رغب أرنولف بان يكون المدافع مع الأمير جودفري بينما أصر دايمبرت وبوهيمند على تنحية أرنولف على الرغم من عدم تأكيد البابا أوربان لذلك مع أمكانية اختيار دايمبرت بدلاً عنه في بداية سنة ٤٩٤هـ / ١١٠١م ، وكان ذلك لسببين ، الأول : أن انتخاب أرنولف بطريركاً لم يكن متفقاً مع القانون الكنسي ، والثاني : أن ارنولف لم يكن له من السلطة والشخصية ما يسمح له بفرض سيطرته وسيادته على السلطة الدينية (١٤) وآزاء هذا الأمر اضطر أرنولف الى التخلي عن منصبه عند وصول دايمبرت الى القدس في الأراضي المقدسة ، ولهذا قاد مجموعة عسكرية من أبناء مدينته بيزا بالرغم من شيخوخته نظراً لخبرته العسكرية التي أكتسبها من قتال المسلمين في اسبانيا ، وقد فرض دايمبرت نفسه على أحداث القدس منذ قدومه اليها (١٥) كما أن هناك أمران كانا يدعمان موقفه ،الأول : الأسطول البيزي، ثانياً : قوات بوهيمند المسلحة ، ونتيجة لذلك حل دايمبرت (٤٩٢–٤٩٤هـ /١٠٩٩– ١١٠١م) محل أرنولف في رئاسة كنيسة القدس بعد أن جرت عملية الانتخاب في كنيسة القيامة في شهر صفر سنة ٤٩٢هـ / أواخر كانون الثاني سنة ١٠٩٩م (١٦) .

أما العامل الثالث : فان البابوية رأت ان من مصلحتها عدم قيام حكومة دينية في القدس لان ظهور أحد رجال الدين الأقوياء في مدينة المسيح (عليه السلام) معناه قيام بابوية جديدة في الشرق ، وفي تلك الحالة يستطيع البابا الجديد في القدس أن يطالب بالسيادة على البابا في روما ولعل تلك المخاوف هي التي جعلت بابوات روما يؤيدون في بادىء الأمر دايمبرت في خلافة مع حاكم القدس ولا يشجعون بأي حال من الأحوال قيام حكومة دينية في الأراضي المقدسة (١٧) كذلك فان فكرة أقامة حكومة دينية كانت فكرة خاطئة منذ البداية ، ولا يمكن تنفيذها ، واذا أقيمت فلا يمكن لها البقاء لان قيام دولة صليبية في بقعة بمثابة قلب العالم الاسلامي تحتاج الى قيادة علمانية للدفاع عنها ضد المسلمين المحيطين بها (١٨) .

وبعد وفاة الأمير جودفري في ١٦ تموز سنة ٤٩٣هـ /١١٠٠م ظهرت من جديد أطماع رجال الدين اللاتين ورغبتهم في أقامة حكومة دينية في القدس . وكان حكم الأمير جودفري يمثل حلاً وسطاً بين النظام الملكي وحكم رجال الدين فيها ، ولذلك آثار موته مشكلة كبرى حول الوضع المقبل لدولة القدس ونوعية الحكم فيها (١٩) وقد انفرد الصوري في ذكر رواية مفادها أن الأمير جودفري صرح بأنه في حالة موته دون وجود وريث شرعي يخلفه في حكم الدولة الصليبية فان جميع ممتلكاته تنتقل ملكيتها دون صعوبات الى البطريرك دايمبرت (٢٠) وأن تنفيذ مثل هذه الوصية يعني تحويل الدولة الصليبية الناشئة في القدس الى حكومة دينية ترتبط ارتباطاً وثيقاً ومباشراً بالكنيسة اللاتينية الغربية في أوربا ، وهذا ما كان البطريرك دايمبرت يسعى للوصول إليه منذ أمد بعيد (٢١) ومهما

يكن من أمر لم يكن من أمر لم يعش الأمير جودفري لينفذ وصيته إذ سرعان ما أعلن دايمبرت بعد وفاة جودفري أحقيته بمدينتي يافا والقدس بما فيها قلعة داود ويجب أن تسلم له حسب الوصية التي قطعها جودفري على نفسه (٢٢) .

والحقيقة أن دايمبرت كانت لديه فرصة كبيرة في تحقيق هدفه بتشكيل حكومة دينية بعد وفاة الأمير جودفري لكنه أضاعها وذلك لسببين ، الأول : بقائه الى جانب الأمير تانكرد هوتفيل Tancard Hotivel (٢٣) أثناء حصار مدينة حيفا في رمضان سنة ٤٩٣هـ / تموز سنة ١١٠٠م (٢٤) أما السبب الثاني : تمثل بموقف مجموعة من رجال الدين الصليبيين كان أبرزهم أرنولف مارلكورن وروبرت روين ومعارضتهم لهذه الفكرة فضلاً عن معارضة بعض القادة العسكريين مثل جالديمار كاربنيل (٢٥) وغيره من أتباع الأمير جودفري ورغبتهم في قيام حكم ملكي وراثي في الأراضي المقدسة ولا سيما أنهم عهدوا بولائهم الى أمير الرها بلدوين الأول لأنه كان من بين الذين رشحهم جودفري ليتولى حكم البلاد من بعده (٢٦) .

وقد إنتهت آمال البطريرك دايمبرت بوصول بلدوين الأول Baldwin I الى القدس قادماً من الرها وإعلانه نفسه ملكاً لدولة القدس الصليبية (٤٩٤ – ٥١٢ هـ /١١٠١– ١١١٨م) بموافقة جميع الزعماء الصليبيين من دينين وعسكريين في يوم عيد الميلاد سنة ٤٩٤هـ /١١٠١م في كنيسة العذراء في مدينة بيت لحم بحضور البطريرك دايمبرت الذي وضع التاج على رأس بلدوين (٢٧) .

وقد أنقسمت بطريركية القدس في عهد الملك بلدوين الأول إلى قسمين ، الأول : أيد رئاسة ارنولف ، أما القسم الثاني : فحاول إبقاء دايمبرت ، وفي نهاية الأمر فاز أرنولف بذلك المنصب للمرة الثانية بعد موجة مشاكل مرت بها كنيسة القدس منذ إقالة دايمبرت حتى إعتلاء أرنولف سنة ٥٠٦هـ /١١١٢م ، وقد أستمرت رئاسته الى نهاية عهد الملك بلدوين الأول (٢٨) وتجدر الإشارة هنا الى أن إخضاع الكنيسة للسلطة الزمنية قد بلغ أوجه في دولة القدس أثناء عهد الملك بلدوين الأول ولا سيما انه كان قبل قدومه الى الشرق معروفاً بتحمسه للإصلاحات الكنسية في أوربا ولم يتخلى عن هذا الاتجاه إلا عندما انخفضت موارده المالية (٢٩) وهكذا لم يقدر للحكومة الدينية التي أراد دايمبرت أقامتها في الأراضي المقدسة أن تعيش أكثر من خمسة شهور ، إذ لم يستطع دايمبرت الوقوف أمام الرأي العام النصراني واضطر الى الانسحاب الى دير جبل صهيون الواقع في جنوب مدينة القدس .

أما عن المؤسسة الدينية المتمثلة بالكنيسة في بلاد الشام فقد كان لها أهمية كبرى في مجتمع أدعى انه قام على أساس الدين وزعم أنه يسعى لتحقيق أهداف دينية ، وقد ربحت كثيراً ولم تفقد سوى القليل فبعد الغزو الصليبي واحتلال القدس مباشرة خلع الصليبيون أساقفة الكنيسة الأرثوذكسية البيزنطية وعينوا أساقفتهم الكاثوليك انطلاقاً من نظرتهم بأنهم ليسوا هراطقة وإنما منشقون عن كنيسة روما ، كما طلبوا من رجال الدين الأرثوذكس الاعتراف بالاساقفة اللاتين الجدد والخضوع لهم مما حالة خلق توتر دائم بين اللاتين والدولة البيزنطية اضطر على أثرها قسم من رجال الدين الأرثوذكس الى الانسحاب نحو القسطنطينية بعد أن طردوهم من مناصبهم بينما بقي القسم الآخر في المقاطعات الصليبية مضطرين إلى إعلان طاعتهم الأسمية للاتين (٣٠) كما قاموا بطرد رجال الدين الأرثوذكس من الكنائس الشرقية وأستحوذوا على كل شيء ليظهروا جشعاً كبيراً في امتلاك الأراضي والأموال والثروة الوفيرة (٣١) فضلاً عن اضطرار الأرثوذكس الى تقديم فروض الطاعة والولاء وضريبة العشر إلى الكنيسة اللاتينية (٣٢) مما أدى ذلك الى زيادة أملاك الكنيسة بشكل دائم ولذلك فقد منع القانون الملكي الاستحواذ على الأراضي وبيعها الى الكنيسة ، غير أن

الواقع النظري عكس التطبيق الفعلي إذ أن الملوك الصليبيين أنفسهم كانوا يهددون الكنيسة غالباً لا لأن ذلك يتناسب وصورة الملك المثالية في العصور الوسطى وإنما لكونهم يحتاجون الكنيسة كقوة دينية داعمة لحكمهم فضلاً عن كونها قوة مالية تلبي متطلباتهم (٣٣) .

ومصداق ذلك أن الصوري الذي كان أشد المتحمسين للكنيسة وينادي بحريتها تجاه الملك أشار أن الملك املريك الأول Amalyric I (٥٥٩ ٥٦٩هـ / ١١٦٣ – ١١٧٤م) لجأ الى الكنيسة للحصول على تأييدها ودعمها المالي الذي قدمته له ولاسيما أن اختيار الأساقفة كان يتطلب موافقة الملك . ومن جانب آخر فان بقاء كرسي الأسقفية شاغراً يعني ذهاب الواردات المالية الى الملك الصليبي (٣٤) .

ومن جانب آخر أهتم الصليبيون بكنيسة القيامة (القبر المقدس) التي كانت تعد من أعظم الكنائس الشرقية وأهمها آنذاك والتي كانت لها أملاك واسعة في الأراضي المقدسة وفي أوربا (٣٥) وقد وصفها الصوري بأنها كانت : " ذات شكل دائري على مرتفع ... قائمة على المنحدر المواجه للشرق ... وترتفع أبراجها بمحاذاتها ومن ناحية أخرى ، فان سقفها مقام من عوارض خشبية ترتفع عالياً ، ويتداخل بعضها ببعض على شكل التاج ، وهو منظم بهذا الشكل بحيث أنه مفتوح دائماً للسماء حتى يزود بالنور اللازم داخل الكنيسة " . وعندما تولى الأمير جودفري دفة الحكم أمر بتعيين رجال الدين من الكهنة الكاثوليك في تلك الكنيسة وأغدق عليهم الأموال والمنح وفضلاً عن تخصيص منازل فخمة لهم في المنطقة المجاورة للكنيسة (٣٦) قام الصليبيون بتوسيعها وبناء صحن وممرات للقبة التي كانت قائمة في ذلك الوقت (٣٧) وقد أشار الرحالة دانيال الراهب خلال رحلته الى الأراضي المقدسة في فلسطين (٥٠٠ – ٥٠١هـ / ١١٠٦ – ١١٠٧م) الى الأعمال العمرانية التي شهدتها كنيسة القيامة وتوسيع المباني والأماكن المتصلة بها وليس ذلك فحسب بل أنه رأى تلك الأماكن قبل أن يقوم الصليبيون بالتغييرات التي أضفت على الكنيسة شكلها الحالي (٣٨) .

كما أهتم الصليبيون ببناء عدد من الكنائس والأديرة في البلاد التي إحتلوها لتلبي الحاجات الدينية للسكان الأوربيين الجدد ، ولعل أهمها في القدس كنيسة الألمان الواقعة الى الشرق من المسجد الأقصى ، أما في حي الأرمن فقد وجدت كاتدرائية القديس جيمس التي أعاد الصليبيين بنائها (٣٩) وقد وصفها الرحالة الألماني ثيودريش أثناء رحلته للأراضي المقدسة في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي قائلاً : " والكنيسة نفسها مستديرة ، كما أنها واسعة من أسفل ، وضيقة من أعلى ، وهي مدعمة بثمانية أعمدة ومزينة بالرسومات بأسلوب ممتاز " (٤٠) .

كذلك أقام الصليبيون كنائس أخرى متفرقة من البلاد التي إحتلوها منها كنيسة بئر يعقوب (عليه السلام) الواقعة على بعد حوالي (٣كم) شرقي مدينة نابلس (٤١) ، وكنيسة في اللد (٤٢) حملت اسم القديس جورج St. Goroge (٤٣) فضلاً عن كنيسة لاتينية في سبسطية (٤٤) حملت اسم البشير يحيى (عليه السلام) (٤٥) وقد زينوها بالصور والتماثيل والنقوش اللاتينية (٤٦) كما شهد عهد الملك املريك الأول بناء كنيستين الأولى أقيمت في منطقة البتراء الواقعة فيما وراء نهر الأردن ، وكان غوريغوس أول أسقف لاتيني لها ، أما الكنيسة الثانية فقد أقيمت في منطقة الخليل وتم اختيار رينالد ابن أخي بطريرك القدس فوشيه (٥٤٠– ٥٥٢هـ /١١٤٥– ١١٥٧م) أسقفاً لتلك الكنيسة (٤٧) .

أما ما يتعلق بالأديرة الجديدة التي بناها الصليبيون في البلاد المحتلة فهي دير جبل صهيون الواقع غربي القدس ، على أن ذلك الدير لم تقتصر أملاكه على الممتلكات الواسعة في بلاد الشام في مدن عكا ويافا وصور وقيسارية وعسقلان بل كان له أملاك وثروات هائلة في دول اوربا ايطاليا واسبانيا وفرنسا وصقلية (٤٨) كما أنشأ الصليبيون دير آخر في المنطقة الواقعة بين القدس وعين كارم (٤٩) عرف بدير الصليب (٥٠) ومن المرجح أن تشييد ديري جبل صهيون والصليب كان في بداية الغزو الصليبي للأراضي المقدسة . كذلك أقاموا ديراً في سبسطية أثناء فترة حكم الملك بلدوين الأول (٥١) فضلاً عن دير بيثاني Bethany (٥٢) الذي أقيم في عهد الملكة ميليسند Melisend (٥١٢ – ٥٢٦هـ / ١١١٨ – ١١٣١م) جنوبي القدس ، وقد أغدقت عليه الأموال والمنح (٥٣) .

ولم يكتف الصليبيون بأقامة الكنائس والأديرة بل قاموا بأنشاء أسقفيات لاتينية جديدة مثل أسقفية بيت لحم التي أقيمت بفضل جهود الملك بلدوين الأول وليس ذلك فحسب بل أمر بأن تكون الكنيسة في مدينة عسقلان عند احتلالها خاضعة للمقر الاسقفي في بيت لحم ، كما تأسست في عهده أسقفية لاتينية في الناصرة سنة ٥٠٣هـ / ١١٠٩م ، بينما شهد عهد الملك بلدوين الثاني Baldwin II (٥١٢ – ٥٢٦هـ / ١١١٨ – ١١٣١م) انشاء أسقفية كاثوليكية في سبسطية سنة ٥٢٢هـ / ١١٢٨م وقد أصبحت تابعة للمركز الاسقفي في قيسارية ، في حين تأسست أسقفية لاتينية في طبرية في عهد الملكة ميليسند ، كما أقيمت أسقفية في الخليل سنة ٥٦٣هـ / ١١٦٨م في عهد الملك املريك الأول ، كما أجرى رجال الدين اللاتين في الدولة الصليبية بعض التعديلات في الحدود الكنيسة بين بطريركية القدس وبطريركية انطاكية عندما ضموا أسقفيات عكا وصور وبيروت وبانياس الى بطريركية القدس ، وتم ذلك بقرار من البابا باسكال الثاني II paschl (٤٩٢ – ٥١٢هـ /١٠٩٩ – ١١١٨م) بعد أن كانت هذه الاسقفيات تخضع لسلطة بطريركية انطاكية قبيل الغزو الصليبي ، وهذا يعني أن الحدود الكنسية لبطريركية القدس تم ربطها مع الحدود السياسية للدولة الصليبية ومن الناحية الدينية تخضع لحكم بطريرك القدس (٥٤) .

أما عن التنظيم الكنسي في بلاد الشام أثناء عهد الاحتلال الصليبي فقد كان امتداداً لما جرى منذ القرن الأول الهجري / الرابع الميلادي ، وهو أن يكون بتلك البلاد كرسيان بطريركان كبيران يترأسان الإدارة الكنسية أحدهما في القدس والآخر في انطاكية ، وقد ظل هذا الوضع قائماً في العصر الصليبي (٥٥) وفيما يتعلق ببطريرك القدس فقد خضعت لسلطته الكنيسة بمملكة بيت المقدس الصليبية ، كما تمتع بامتيازات واسعة تمثلت في حقه في امتلاك حي خاصاً به في القدس فضلاً عن حقه في اصدار القوانين والتشريعات الدينية (٥٦) .

وليس ذلك فحسب بل أن السلطة الدينية نافست السلطة الزمنية ، إذ أشارت وثائق محكمة بيت المقدس بان بطريرك القدس والملك الصليبي هما قسيمان في حكم دولة القدس الصليبية (٥٧) والواقع أن معظم البطاركة باستثناء البطريرك ستيفن الشارتري Stephen Chartres (٥٢٢ – ٥٢٤هـ / ١١٢٨ – ١١٣٠م) كانوا أوفياء للملوك

الصليبيين ومن المؤيدين لهم ، فعلى سبيل المثال لا الحصر كان البطريرك دايمبرت يمثل وجه النظر الرسمية للكنيسة اللاتينية رغم انه فاقد للتفويض المباشر من البابا في روما وبمبادرة شخصية فقد عد الحملات الصليبية عملية مشاركة كنسية القدس وقد عد الأمير جودفري حامياً للقبر المقدس Advocatus Sancti Sepulchri وتابعاً للكنيسة (٥٨) ويبدو أن ذلك كان اقتباساً من النظام الذي كان سائداً في غرب أوربا الاقطاعية إذ كان يعين أحد النبلاء حامياً لدير من الأديرة ، وهذا اللقب المؤقت أدى إلى حفظ النظام السياسي للدولة الصليبية الجديدة (٥٩) .

ومن الجدير بالذكر أن الأمير جودفري رفض أن يصبح ملكاً ويرتدي تاجاً من الذهب في المكان الذي ارتدى فيه المسيح (عليه السلام) حسب قوله تاجاً من الشوك (٦٠) وقد جاء اختيار الأمير جودفري لهذا اللقب اعترافاً منه بان الدولة الجديدة ليست لها الصفة السياسية فحسب بل لها الصفة الدينية التي تجعل للكنيسة نوعاً من الاشراف عليها (٦١) أما عن ترشيح الأمير جودفري حاكماً على القدس فكان يمثل حلاً وسطاً للهروب من تحديد العلاقة بين الكنيسة والدولة بشكل حاسم في الدولة الوليدة (٦٢) .

وعلى الرغم من الصلاحيات الواسعة التي تمتع بها بطريرك القدس إلا أن مركزه ضعف أمام قوة نفوذ الملك الصليبي عقب الفشل الذي لحق بدايمبرت البيزي (٦٣) فقد أطلقت البابوية يد الملك بلدوين الأول في البطريركية بعد إقالة دايمبرت عن منصبه سنة ٤٩٥هـ/ ١١٠٢م وقضى ذلك على أية فرصة لتحويل بيت المقدس الى امارة كنسية يحكمها بطريرك يعد السيد الأعلى ويتم الدفاع عنها بوساطة حام معين (٦٤) كما أدت المحاولة الفاشلة للبطريرك دايمبرت في فرض سيطرة الكنيسة على الدولة الصليبية الى ارتباط الكنيسة صميمياً بكنيسة روما التي بدورها مارست سيطرتها بوساطة مبعوثين مفوضين لإدارة شؤون الكنيسة للدولة الصليبية (٦٥) .

ولم تقف الأمور عند هذا الحد بل ازداد الصراع وتفاقمت المشاكل مرة أخرى بين الملك بلدوين الأول والبطريرك دايمبرت ، فالملك بلدوين كان بحاجة مستمرة للأموال من أجل دفع رواتب الفرسان والجنود فضلاً عن أنشاء فرق عسكرية جديدة ، ومن أجل ذلك طلب الملك من البطريرك المساهمة بجزء من الأموال للإيفاء بالتزاماته فبذل له البطريرك دايمبرت مبلغاً صغيراً بينما أكد أرنولف مالكورن مستشار لكنيسة القيامة للملك بلدوين أن البطريرك دايمبرت أخفى مبالغ كبيرة من المال مما أثار غضب وسخط الملك على البطريرك واستمر في تحذيره من أجل إعداد أربعين فارساً وامدادهم بالذهب والفضة من أجل مباشرة أعمالهم الحربية فاضطر البطريرك الى الرضوخ الى الأمر الواقع والاستجابة لطلب الملك (٦٦) .

وبذلك تقلصت صلاحيات هيئة رجال الدين في كنيسة بيت القدس وأصبحت مهامها تقتصر على ترشيح شخصين لاشغال منصب البطريرك ثم تعرض على الملك ليختار أحدهما ، فقد كان الملك يمارس نفوذه وسلطته بشكل مباشر لاختيار المرشحين ويمارس ضغوطه على الناخبين من أجل اختيار المرشح الذي يفضله (٦٧) فعلى سبيل المثال لا الحصر رشحت الهيئة في سنة ٥٠٦هـ/١١١٢م شخصين هما إبلين آرال Gibelin Arles وأرنولف مالكورن الذي تم ترشيحه للمرة الثانية ، فاختار الملك بدلوين الأول أرنولف بطريركاً للقدس (٥٠٦ – ٥١٢هـ / ١١١٢ – ١١١٨م) الذي تصدى وجماعته لفكرة أقامة حكومة دينية وإفشالها بل شجعوا وساعدوا على أقامة حكومة دنيوية وراثية (٦٨) .

وعلى الرغم من ذلك كله إلا أن الصراع بين المؤسستين الدينية والدنيوية عاد من جديد عندما حاول البطريرك ستيفن الشارتري الضغط على الملك بلدوين الثاني من أجل إجباره عن التنازل عن مدينة يافا باكملها لكنيسة القيامة ، كما طلب منه التنازل عن مدينة القدس في حالة استيلاء الصليبيين على مدينة عسقلان ، وقد اضطرب حكم الملك بلدوين الثاني وتدهورت العلاقة بينه وبين البطريرك بسبب مطالبة البطريرك ومحاولته احياء السلطة البطريركية وحكم المملكة الذي يشبه طلب البطريرك دايمبرت من الأمير جودفري ، غير أن الصراع بين الملك بلدوين الثاني والبطريرك ستيفن لم يستمر طويلاً بسبب وفاة البطريرك ستيفن سنة ٥٢٤هـ / ١١٣٠م ، ومنذ هذا التاريخ لم تتكرر الصراعات بين بطاركة وملوك القدس إذ أستمر الملك يتحمل مسؤولية اختيار البطريرك في حين أصبح البطريرك خادماً لكنيسة بيت المقدس (٦٩) .

ومن جانب آخر فان صلاحية الملك الصليبي في إقرار تعيين رجال الدين اللاتين انتهت منذ سنة ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م ، بعد أن أصبح الملوك الصليبيين يقيمون خارج رقعة دولة القدس الصليبية ومقابل ذلك أرتفعت مكانة البطريرك الزعيم الروحي للدولة الصليبية مرة أخرى ولا سيما أن البطريرك أصبح منذ سنة ٦١٧هـ/١٢٢٠م مندوباً حقيقياً يختار من أبناء البلاد وليس مفوضاً فخرياً يمثل البابا فضلاً أن العقود الأخيرة من حياة الدولة الصليبية تحتم على البطريرك تولي بعض الوظائف الاسمية فيها (٧٠) .

أما ما يتصل بالمؤسسة الكنسية القائمة في الدولة الصليبية ، فقد كانت تتألف من بطريرك القدس الذي يقف على قمة الهرم الكنسي ويليه في التسلسل الهرمي رؤساء الأساقفة فالأساقفة ثم رؤساء الكنائس والأديرة يليهم القساوسة وصولاً الى قاعدة الهرم التي تتألف من الرهبان والشمامسة والكتبة وغيرهم من صغار رجال الدين اللاتين العاملين في مختلف المؤسسات الكنسية في الدولة الصليبية (٧١) وكان يتبع بطريرك القدس رؤساء الأساقفة الأربعة في مدن صور وقيسارية والناصرة والكرك ، وكذلك أسقفيات اللد والرملة وبيت لحم وسبسطية وطبرية وبيروت وعكا وبانياس والخليل فضلاً عن رؤساء الاديرة السبعة وهي دير معبد السيد ودير جبل صهيون ودير جبل الزيتون ودير القديسة مريم للاتين ودير القديسة مريم في وادي يوسفات ودير القديسة حنة ودير بيثاني (٧٢) وقد أكد الصوري تبعية جميع الكنائس والأديرة لسلطة كنيسة القدس وان يقدم أساقفة كنائس المدن التي تم احتلالها طاعتهم وولائهم لبطريرك القدس ، وكان ذلك بموجب مرسوم أصدره الملك بلدوين الثاني في حزيران سنة ٥٠٥هـ/١١١١م (٧٣) .

ولم يقتصر الأمر على تقديم فروض الطاعة والولاء لبطريرك القدس فقط بل درج كبار موظفي الكنيسة على تقديم خدمات عسكرية للدولة الصليبية من السرجندية (٧٤) دون تقديم خدمات الفرسان فضلاً عن أمداده الدولة الصليبية بالأموال ، إذ التزم بطريرك القدس وهيئة رجال الدين في كنيسة القيامة بتقديم خمسئمة سرجندي بينما تعهد أسقف بيت لحم بتقديم مئتي سرجندي وتولى رئيس أساقفة صور تقديم مئة وخمسين سرجندياً ، وسار على نهجه رئيسا أساقفة قيسارية والناصرة وعكا واللد والرملة ورئيسا ديري القديسة ماريا يوسفات وجبل صهيون (٧٥) وهكذا كانت المؤسسة الدينية تقدم خدمات عسكرية من أجل القيام بالهجمات العسكرية والدفاع عن حدود الدولة الصليبية ضد المسلمين الذين كانوا دوماً ينتظرون الفرصة لاسترداد بلادهم من المغتصبين الصليبيين(٧٦).

وهكذا كانت القيادة الكنسية في الدولة الصليبية تتخذ مقرها في كنيسة القيامة على الرغم من أن مدينة القدس وجد فيها سبع وعشرون كنيسة وقتذاك (٧٧) وفي المدن الكبيرة كانت تتخذ الكنيسة كمقر ديني مثل صور التابعة

للدولة الصليبية ، ولكن بعد تحرير القدس سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م ، على يد الناصر صلاح الدين الأيوبي (٥٦٥ – ٥٨٩هـ / ١١٦٩ – ١١٩٣م) أضحت صور مدينة ملكية ونتيجة لذلك أصبحت أول مركز لرئيس أساقفة المملكة يلي بطريركية القدس وبعد أن كان تتويج كل ملك صليبي يتم على يد بطريرك القدس أصبحت هذه المسؤولية يتولاها رئيس أساقفة صور الذي كان الشخصية الثانية في الترتيبة الكنسية ، وكان وليم الصوري من بين رؤساء أساقفة صور (٧٨) كما كانت عكا من بين المدن الكبيرة الأخرى التي اتخذت الكنسية كمقر للتنظيم الكنسي ، على الرغم من أن عكا كانت تضم ثمان وثلاثين كنيسة آنذاك .

أما عن التنظيم الكنسي في الريف فكان أقل وجوداً من المدينة وذلك لان معظم الصليبيين تركز استيطانهم في المدن وإذ ما استوطنوا في الريف فكانوا يعيشون في قرى مغلقة لا يخالطون فيها نصارى الشام ولا مسلميها ، وهذا بطبيعة الحال يعني عدم الحاجة الى الكنيسة إلا في حالات قليلة (٧٩) .

وقد واجه رجال الدين اللاتين عدة مشاكل عندما شرعوا بتنظيم الكنيسة اللاتينية وكانت أولها مشكلة الحدود التي وقفت حائلاً أمام تنفيذ مأربهم الخاصة بتشكيل بطريركية لاتينية واسعة الأرجاء في بداية استقرارهم في الأراضي المقدسة إذ كانت مساحة الأراضي التي استولى عليها الصليبيون لا تزال قليلة آنذاك لأنه معظم البلاد وخاصة الساحلية كانت بيد المسلمين أصحابها الشرعيين فضلاً أن هذه البلاد كانت مركزاً لأسقفيات أرثوذكسية مما زاد من حرج الموقف الصليبي ثانيها : النزاع الذي نشب بين بطريركية القدس وبطريركية انطاكية حول المركز الأسقفي والأسقفيات التابعة وقد أستمر هذا النزاع بينهما مدة من الزمن حتى تمكنت البابوية في روما من حسم الأمر نهائياً لصالح بطريركية القدس على أساس أن المدن والمقاطعات الخاضعة لكنيسة القدس تتبع الحدود السياسية للمملكة الصليبية وهذا الأمر ينطبق أيضاً على كنيسة انطاكية التي إمتدت سلطتها حسب الحدود السياسية للإمارة (٨٠) .

وكان لرجال الدين اللاتين محاكمهم الكنسية الخاصة بهم Ecclesiastique Courts مثلما كان متبعاً في الغرب الأوربي (٨١) وكانت تلك المحاكم تنقسم الى قسمين ، الأول : المحاكم الكنسية العليا وتنعقد برئاسة بطريرك القدس أو أحد رؤساء الأساقفة الكبار في بطريركية القدس الصليبية ، وكانت وظيفتها التصديق على بعض المنح المالية والعقود والامتيازات التي يتم التوقيع عليها من قبل قاضي القضاة ، وهذا المنصب كان يتولاه بطريرك القدس لكونه يحمل أعلى مرتبة دينية في البطريركية فضلاً عن دورها في الحكم على رجال الدين الذين أرتكبوا جرائم القتل ، على أن تلك المحاكم كانت لا تستطيع فرض الأحكام على المجرمين الذين تسببوا في قتل الناس أو الحاق أضرار في بعض أعضاء جسم الإنسان ولذلك كان قضاة المحاكم الكنسية يتعاونون مع قضاة المحاكم المدنية ، وفي حالات النزاع بين رجال الدين وعامة الناس كان الفيكونت (٨٢) أعضاء المحكمة البرجوازية (٨٣) يذهبون الى المحاكم الكنسية ويحضرون جلسات الحكم (٨٤) .

أما القسم الثاني من المحاكم الكنسية فكان من إختصاصها النظر في الإساءات التي يرتكبها رجال الدين مثل قضايا الحنث بالإيمان وشهادة الزور والسحر والشعوذة والزنا واللواط ثم توسعت اختصاصاتها وأصبحت تنظر في جميع القضايا المتعلقة بالعلاقات والروابط الزوجية وما ينطوي عليها من حالات الطلاق والزنا والوصايا (٨٥) وفوق ذلك كله

كانت تنظر وتفصل في القضايا التي تحدث بين رجال الدين وفرسان التنظيمات الدينية العسكرية الاسبتارية (٨٦) والداوية (٨٧) لان هؤلاء الفرسان كانوا يخرجون على النظام الكنسي والقضائي (٨٨) .

وكان من الطبيعي أن يكون للمؤسسة الدينية مورداً مالياً لسد احتياجاتها وهو ضريبة العشر الديني الذي أصبح موضع نزاع دائم بين النبلاء وفرسان التنظيمات الدينية وذلك لان الإقطاعيين بضمنهم الملك الصليبي كانوا ملزمين بدفع ضريبة العشر في الأراضي المقدسة على عكس ما هو معتمد في أوربا وكانت هذه الأموال تؤدى الى الكاتدرائيات وليس الى الكنائس ، وقد ساعد هذا الإجراء في تأمين ضرائب لرجال الدين فرضت على النصارى الشرقيين والمسلمين في المناطق الخاضعة لسلطة الاحتلال الصليبي (٨٩) كذلك كان بعض رؤساء الكنائس والأديرة اللاتينية في الأراضي المقدسة يضطرون الى فرض ضريبة العشر على أملاك الكنائس والأديرة التي تقع ضمن مناطق نفوذهم الكنسي ليس من أجل ضريبة العشر نفسها بل من أجل إثبات حق الأديرة والكنائس في مناطق نفوذهم ، فعلى سبيل المثال قيام رئيس دير معبد السيد في القدس بفرض ضريبة العشر على أملاك دير القديسة مريم في وادي يوسفات تلك الأملاك الواقعة في إقطاعية نابلس (٩٠) .

وتجدر الإشارة هنا الى الخسائر الجسيمة التي لحقت بالمؤسسة الدينية متمثلة برجال الدين والكنيسة اللاتينية بعد معركة حطين (٩١) بين الجانبين الإسلامي والصليبي سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م ، إذ فقدت بطريركية القدس مركزين أسقفين هامين هما المركز الأسقفي في مدينة الناصرة والمركز الأسقفي في حصن الكرك (٩٢) كما فقدت عدة أسقفيات منها أسقفية بيت لحم وأسقفية الخليل وأسقفية طبرية وأسقفية سبسطية وأسقفية بانياس وأسقفية اللد والرملة هذا فضلاً عن فقدانها معظم الكنائس والأديرة الكبيرة في الأراضي المقدسة مثل كنيسة القيامة وكنيسة المهد وغيرها ، أما المناطق التي خضعت للنفوذ الكنسي الصليبي فهي قيسارية وصور اللتان بقيتا مركزين أسقفين كما كانتا عليه زمن الدولة الصليبية ، ولم يبق لرجال الدين سوى أسقفية واحدة هي أسقفية عكا لان الأسقفيات الأخرى استردها المسلمون ولم يعد للكنيسة الصليبية أية سيطرة عليها (٩٣) .

وعليه قرر رجال الدين اللاتين أعادة تنظيم المؤسسة الدينية في الدولة الصليبية وفقاً للحدود التي رسمتها معاهدة صلح الرملة سنة ٥٨٨هـ /١١٩٢م ففي سنة ٥٩٠هـ / ١١٩٣م اجتمعوا في مدينة عكا من أجل انتخاب بطريرك لكنيسة القدس ووقع اختيارهم على أمري الراهب Monk Aimrey رئيس أساقفة قيسارية (٥٧٦ – ٥٩٤هـ / ١١٨٠ – ١١٩٧م) الأمر الذي أزعج هنري تروي Troy Henry ابن شقيق الملك الانكليزي ريتشارد الأول قلب الأسد Richard I Heart Lion(٥٨٥ – ٥٩٦هـ / ١١٨٩ – ١١٩٩م) بسبب عدم قيام رجال الدين باستشارته في موضوع انتخاب البطريرك ، ولذلك أمر بالقاء القبض على رجال الدين وزجهم في السجن غير أن جوسيوس Joscius رئيس أساقفة صور (٥٨٢ – ٥٩٩هـ / ١١٨٦ – ١٢٠٢م) أنقذ الموقف بعد أن تمكن من اقناع هنري باطلاق سراح رجال الدين والاعتذار لهم وكان ذلك لأمرين الأول تجنب تحدي بابا روما والثاني انه لم يكن قد توج فلا يحق له التدخل أو الاعتراض على انتخاب أمري الراهب الذي وافقت على تعيينه البابوية رغم تأخرها بعض الوقت بطريركاً على الكنيسة اللاتينية في سنة ٥٩٣هـ / ١١٩٦م (٩٤) .

ومهما يكن من أمر فقد أستمر رجال الدين اللاتين في تنظيم المؤسسة الدينية بعد تعيين بطريرك القدس ، إذ استمر جوسيوس رئيس أساقفة صور على رأس عمله ، كما قام رجال الدين اللاتين في أسقفية عكا بانتخاب

أسقف جديد لها يدعى ثيوبالد Theobald (٥٨٩ – ٥٩٧هـ /١١٩٣ – ١٢٠٠م) (٩٥) أما بالنسبة لرؤساء أسقفيات الناصرة وقيسارية واللد والرملة وبيروت وصيدا التابعة لدولة القدس الصليبية فلم تمدنا المصادر بأسمائهم .

وهذا يعني أن سلطة البطريرك الجديد امتدت لتشمل رئاسة أسقفية الناصرة ورئاسة أسقفية قيسارية وأسقفية عكا فضلاً عن سلطته على رجال الدين الصليبيين المقيمين في مدينة أرسوف وحيفا ويافا وجميع البلاد التي عادت الى الدولة الصليبية بمقتضى صلح الرملة ، وعلى الرغم من ذلك ألا أن أوضاع بطريركية القدس وحدودها لم تكن ثابتة منذ معركة حطين وحتى تحرير المسلمين لجميع البلاد الإسلامية المحتلة وطرد الصليبيين منها سنة ٦٩٠هـ / ١٢٩١م ، وذلك يعود لأمرين ، الأول : كثرة المعاهدات التي وقعت بين المسلمين والصليبيين خلال الفترة ٥٨٨ – ٦٩٠هـ / ١١٩٢– ١٢٩١م ، والتي أدت بدورها إلى تقليص النشاط الحربي بين المسلمين والصليبيين وصعوبة توسع كل جانب على منطقة نفوذ الجانب الآخر(٩٦) .

أما الأمر الثاني : فهو اشتداد النشاط العسكري الاسلامي ضد المعاقل الصليبية ولاسيما بعد انتصار المسلمين على المغول في معركة عين جالوت (٩٧) سنة ٦٥٨هـ /١٢٦٠م ، والتي كانت من المعارك الحاسمة في التاريخ الإسلامي وظلت تذكرها الأجيال على مر العصور ، الأمر الذي أدى في النهاية الى تقويض دعائم الكيان الصليبي في الأراضي المقدسة (٩٨) .

والحقيقة أن أشد ما تعرضت له دولة القدس الصليبية من الأخطار إنما كان مصدره التنظيمان الدينيان الاستبارية والداوية فضلاً أن ما حصلت عليه الكنيسة من إعفاءات وامتيازات مالية كانت من المشاكل الخطيرة وأسهمت بشكل فاعل في أضعاف دولة الاحتلال الصليبي ، ولعل أبرز مساوئ الدولة الصليبية كان افتقارها الى العامل المالي لديمومة الوجود الصليبي في بلاد الشام (٩٩) .

وعليه يمكن القول أن المؤسسة الدينية كان لها دور كبير في الأحداث التي مرت بها دولة القدس الصليبية منذ تأسيسها حتى سقوطها ، كما أسهمت في توجيه الأحداث في المجتمع الصليبي في بلاد الشام ، ولم يقتصر دورها على الوفاء بالمطالب الدينية للمجتمع والنهوض بشعائر الدين وإنما تعدى ذلك الى التدخل في شؤون الحكم والسياسة والحرب فضلاً عن قيام فرسان التنظيمات الدينية العسكرية الاسبتارية والداوية بدور بارز في قتال المسلمين وحماية حدود الدولة الصليبية ولاسيما أن كبار رجال الدين اللاتين أنفسهم كانت لهم طموحاتهم ومطامعهم في الحكم منذ قدومهم بلاد الشام .

هوامش البحث :

١- لقد تناول الباحثين دوافع الحروب الصليبية وأوردوا تفاصيلها باسهاب ولذلك لم نعرج لذكرها في المتن ، وللمزيد . ينظر : سعيد عبدالفتاح عاشور ، الحركة الصليبية ، (القاهرة : ١٩٦٣م) ، ج١ ، ص٢٧– ٤٣ ؛ قاسم عبدة قاسم ، ماهية الحروب الصليبية (الكويت : ١٩٩٠م) ، ص ١١– ٣٢ ؛ ميخائيل زابوروف ، الصليبيون في الشرق ، ترجمة : الياس شاهين (موسكو : ١٩٨٦م)، ص١٤– ١٦ .

٢- جوزيف نسيم يوسف ، العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الاولى (الاسكندرية : ١٩٦٧م) ، ص ٦٧ – ٢٨٨ .

٣- جان ريتشار ، " تكوين مملكة القدس اللاتينية وبينتها " ضمن كتاب الصراع الاسلامي – الفرنجي على فلسطين في القرون الوسطى ، تحرير : هادية دجاني (بيروت : ١٩٩٤م) ، ص ١٦٠ – ١٦١ .

٤- مؤلف مجهول ، أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، ترجمة حسن حبشي (القاهرة : ١٩٥٨م) ، ص ١١٤ .

٥- روبرت روين :أحد القساوسة النورماندين الذين اشتركوا في الحملة الصليبية الأولى ، وهو ينتمي الى أسقفية روين . ينظر : وليم الصوري ، تاريخ الحروب الصليبية الأعمال المنجزة فيما وراء البحار ، تحقيق : سهيل زكار (دمشق : ١٩٩٠م) ج١، ص ٤٠٠ .

٦- أعمال الفرنجة ، ص ، ١١٤ ؛ وكانت الكنيسة التذكارية للقديس جورج في منتصف المسافة تقريباً بين المدن المتاخمة للد والرملة ، ولهذا السبب فان أسقف هذه الكنيسة سمي بأسقف اللد والرملة . وكان هذا الأسقف اللاتني الأول لبطريركية القدس . ينظر : الصوري تاريخ الحروب ، ج١ ، ص٤٠٠ هامش رقم (١) .

٧- ريتشار . " تكوين مملكة " ، ص ١٤٨- ١٤٩ ؛ سعيد عبدالله البيشاوي ، الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية (الاسكندرية : ١٩٩٠م) ، ص ١٠٦ .

٨- عبدالقادر احمد اليوسف ، علاقات بين الشرق والغرب (بيروت :١٩٦٩م) ، ص ٧٤ .

٩- فوشيه الشارتري ، تاريخ الحملة الى القدس ، ترجمة : زياد العسلي (عمان : ١٩٩٠م) ، ص ٦٤،٧٧ .

١٠- أعمال الفرنجة ، ص ١٢٠ ؛ الصوري ، تاريخ الحروب ، ج١ ، ص ٤٤٩ .

١١- الصوري ، تاريخ الحروب ، ج١ ، ص ٤٠٢ ، ٤٦٥ .

١٢- تاريخ الحملة ، ص .٧٧

١٣- اليوسف ، علاقات ، ص ٧٦ .

١٤- هارولد فنك ، " تأسيس الامارات الصليبية " ضمن كتاب تاريخ الحروب الصليبية ، تحرير : سعيد البيشاوي وآخر ، ترجمة : علية عبدالسميع الجنزوري (عمان : ٢٠٠٤م) ، ج١ ، ص ٦٩ .

١٥- اليوسف ، علاقات ، ص ٧٦ .

١٦- الشارتري ، تاريخ الحملة ، ص ٨٠- ٨١ ؛ الصوري ، تاريخ الحروب ، ج١ ، ص ٤٦٧ ؛ هانز ابرهارد ماير ، تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة وتعليق : عماد الدين غانم (ليبيا : ١٩٩٠م) ، ص ١٠٢ .

١٧- فنك ، " تأسيس الامارات " ، ص ١١٢ ؛ عاشور ، الحركة الصليبية ، ج١ ، ص ٤٨٤ .

١٨- البيشاوي ، الممتلكات الكنسية ، ص ١١٣ .

19- W.B.Stevenson K, The Crusaders in the East (Beirut :1968) , p.42 .

٢٠- تاريخ الحروب ، ج١ ، ص ٤٦٧ .

٢١- ماير ، تاريخ الحروب ، ص ٢٤٨ ؛ عاشور ، الحركة الصليبية ، ج١ ، ص ٢٧٠ .

٢٢- الصوري ، تاريخ الحروب ، ج١ ، ص ٤٧٩ .

٢٣- تانكرد هوتفيل : وهو احد الامراء الايطاليين ، كان جندياً على درجة عالية من الكفاءة ، اشترك في الحملة الصليبية الأولى وخدم مع الأمير جودفيري ، وكان ذراعه الأيمن في جميع الحملات العسكرية ، وقد منحه الأمير جودفري امارة الجليل قبل خضوعها للسيطرة الصليبية لتكون أقطاعاً مدى الحياة . ينظر: البيشاوي، الممتلكات الكنسية ، ص ٦٧ – ٦٨ .

٢٤- فنك ، " تأسيس الأمارات " ، ص ٦٩ – ٧٠ ؛ عاشور ، الحركة الصليبية ، ج١ ، ص ٢٧٦ .

٢٥- جالديمار كارينيل : هو احد الفرسان الصليبيين الذي قدموا من الغرب الى الأراضي المقدسة أشترك مع الجيش الصليبي في الاستيلاء على مدينة حيفا التي استحوذ عليها فيما بعد الأمير تانكرد ولعدم قدرته على الوقوف بوجه تانكرد اضطر الى مغادرتها الى مدينة الخليل ، قتل في معركة الرملة الأولى سنة ٤٩٤هـ / ١١٠١م . ينظر : البيشاوي ، الممتلكات الكنسية ، ص ٧٣ .

٢٦- رنيه كروسيه ، الحروب الصليبية صراع الشرق والغرب ، ترجمة : أحمد أيبش (دمشق : ٢٠٠٣م) ، ص٥٣ ؛ اليوسف ، علاقات ، ص ٧٧ .
٢٧- الشارتري ، تاريخ الحملة ، ص ١١١ ؛ الصوري ، تاريخ الحروب ، ج١ ، ص ٤٨٨ .
٢٨- كروسيه ، الحروب الصليبية ، ص ٥٣ ؛ اليوسف ، علاقات ، ص ٧٨ .

٢٩- ماير ، تاريخ الحروب ، ص ٢٥٢ .

٣٠- يوشع براور ، عالم الصليبيين ، ترجمة : قاسم عبدة قاسم (القاهرة : ١٩٩٩م) ، ص ٨٠ .
٣١- عاشور ، الحركة الصليبية ، ج١ ، ص ٢٨٥ ، ٤٨٣ – ٤٨٤ .

٣٢- ر.سي. سميل ،الحروب الصليبية ، ترجمة : سامي هاشم (بيروت :١٩٨٢م) ، ص ٥٢ .
٣٣- ماير ، تاريخ الحروب ، ص ٢٥١ – ٢٥٢ .

٣٤- تاريخ الحروب ، ج٢ ، ص ٨٨٠ – ٨٨١ .
٣٥- ابراهيم شوكة ، تحقيق سورية ولبنان وفلسطين والأردن من نزهة المشتاق في اختراق الأفاق للشريف الادريسي (بغداد : ١٩٧٩) م٣٠ ، ص ٧ ؛ ناصر خسرو ، سفر نامة ، ترجمة : يحيى الخشاب (القاهرة:١٩٤٥م) ؛ ماير ، تاريخ الحروب ، ص ١٤٨ .
٣٦ تاريخ الحروب ، ج١ ، ص ٤١٠ ، ٤٥٦ .

٣٧- جي لسترانج ، فلسطين في العهد الاسلامي ، ترجمة : محمود عاميرة (عمان : ١٩٧٠م) ، ص ٣٥ .
٣٨- رحلة الحاج الروسي في الاراضي المقدسة ١١٠٦ – ١١٠٧ ، ترجمة : سعيد البيشاوي وآخر (عمان : ١٩٩٢م) ، ص٥٢ .

٣٩- براور ، عالم الصليبيين ، ص ٨٤ ؛ محمد الحافظ النقر ، " التغيرات الادارية والسكانية والعمرانية في مدينة القدس " ضمن أعمال مؤتمر بلادالشام في فترة الصراع الاسلامي الفرنجي ، (جامعة اليرموك ، الأردن : ٢٠٠٠م) ، ج٢ ، ص ٦٦٧ .

٤٠- وصف الأماكن المقدسة في فلسطين،ترجمة وتحقيق ودراسة:سعيد البيشاوي واخر(عمان:٢٠٠٣م)، ص٨٤ .
٤١- دانيال الراهب ، رحلة الحاج الروسي ، ص ١٠٧ هامش رقم (٥) .
٤٢- محمد بن محمد بن الاثير ، الكامل في التاريخ ، (بيروت : ١٩٦٦م) ، ج١٢ ، ص٧٢ .
٤٣- دانيال الراهب ، رحلة الحاج الروسي ، ص٩ ؛ ثيودريش ، وصف الأماكن ، ص ١٢٢ .
٤٤- سبسطية : بلدة من أعمال نابلس بينها وبين القدس (٤٨ كم) . ينظر : شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت الحموي ، معجم البلدان (بيروت : ١٩٥٧م) ، ج٣ ، ص ١١٤ .
٤٥- شوكة ، تحقيق سورية ،ص٨ ؛ محمد بن تقي الدين عمر بن شاهناه ، مضمار الحقائق وسر الخلائق ، تحقيق : حسن حبشي (القاهرة : ١٩٦٨م) ، ص ١٩٠ .

٤٦- محمد بن محمد بن العماد الكاتب الاصفهاني ، الفتح القسي في الفتح القدسي ، تحقيق :مصطفى فهمي الكتبي (مصر : د.ت) ، ص ٢٦ .

٤٧- الصوري ، تاريخ الحروب ، ج٢ ، ص ٩٢٧ .

٤٨- ارنست باركر ، الحروب الصليبية ، ترجمة : الباز العريني (بيروت :١٩٦٧م) ، ص ٦٦ .

٤٩- عين كارم : قرية من قرى فلسطين المشهورة سميت بهذا الاسم نسبة الى عين ماء قريبة منها كانت تسمى عين كارم ، وتقع على بعد حوالي (٧ كم) جنوب غرب القدس . ينظر : حسين لوباني الداموني، معجم أسماء المدن والقرى الفلسطينية (رام الله : ٢٠٠٣م) ، ص١٨٥ .

٥٠- مصطفى مراد الدباغ ، بلادنا فلسطين (بيروت : ١٩٥٧م) ، ج٨ ، ق٢ ، ص٥٩ .

٥١- عبدالرحمن بن اسماعيل أبو شامة ، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية (بيروت :د.ت)، ج٢ ، ص٨٨ ؛ جمال الدين محمد بن سالم بن واصل ، مفرج الكروب في اخبار بني أيوب ، تحقيق : جمال الدين الشيال ، (القاهرة : ١٩٥٣م) ج٢ ، ص ١٥٩ .

٥٢- بيثاني : قرية صغيرة تقع على بعد (١٢كم) جنوب شرق القدس . ينظر : دانيال الراهب ، رحلة الحاج الروسي ، ص ٦٣ .

٥٣- ستيفن رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة : الباز العريني (بيروت : ١٩٦٧م) ، ج٢ ، ص٤٩٩; R.Grousset,Histoire des Croisades et du Royaume de Jersalem (Paris:1935),Vol.II,p.161.

٥٤- البيشاوي ، الممتلكات الكنسية ، ص ١٤٢، ٢٣٣ – ٢٣٤ .

٥٥- الصوري ، تاريخ الحروب ، ج١ ، ص ٥٦٢ .

٥٦- رنسيمان ، تاريخ الحروب ، ج٢ ، ص ٤٩٨ ؛ ماير ، تاريخ الحروب ، ص ٢٤٨ .

٥٧- باركر ، الحروب الصليبية ، ص ٦٦ .

٥٨- فنك ، " تأسيس الامارات " ، ص ٧٠ – ٧١ .

٥٩- عمر كمال توفيق ، مملكة بيت المقدس الصليبية (الاسكندرية : ١٩٥٨م) ، ص ٦١ .

٦٠- الشارتري ، تاريخ الحملة ، ص ١١١ ؛ الصوري ، تاريخ الحروب ، ج١ ، ص ٤٥٦ – ٤٥٧ ؛ مكسيموس مونرود ، تاريخ الحروب المقدسة في الشرق ، عربه : مكسيموس مظلوم (أورشليم : ١٨٦٥م) ، ص٢١٣ .

٦١- عبلة المهتدي الزبدة ، صلاح الدين وتحرير القدس (عمان : ١٩٩٤م) ، ص٤٢ ; Stevenson,The Crusaders, P.36.

٦٢- قاسم ، ماهية الحروب ، ص ١٣٠ .

٦٣- رنسيمان ، تاريخ الحروب ، ج٢ ، ص٤٩٨ ؛ ماير ، تاريخ الحروب ، ص ٢٤٨ .

٦٤- فنك ، " تأسيس الإمارات " ، ص ٧٥ .

٦٥- ماير ، تاريخ الحروب ، ص ٢٤٨ .

٦٦- البيشاوي ، الممتلكات الكنسية ، ص ١١٩ – ١٢٠ .

٦٧- براور ، الاستيطان الصليبي في فلسطين ، ترجمة : عبدالحافظ البنا (القاهرة : ٢٠٠١م)، ص١٣٣-١٣٤ .

٦٨- فنك ، " تأسيس الامارات " ، ص ٧٤ .

٦٩- البيشاوي ، الممتلكات الكنسية ، ص ١٢٧ .

٧٠- ماير ، تاريخ الحروب ، ص ٢٥٣- ٢٥٤ .

٧١- البيشاوي ، الممتلكات الكنسية ، ص ٢٢٤ .

٧٢- رنسيمان ، تاريخ الحروب ، ج٢ ، ص ٤٩٨ ؛ ماير ، تاريخ الحروب ، ص٢٤٨ ؛ زابوروف ، الصليبيون ، ص ١٥١ .

٧٣- تاريخ الحروب ، ج١ ، ص ٥٦١ – ٥٦٢ .

٧٤- السرجندية:هم مشاة الجيش الصليبي الكاملي التسليح كانوا يحملون الأسلحة الخفيفة في المعارك ضد المسلمين. ينظر : سميل ، الحروب الصليبية ، ص ٩٧ .

٧٥- رنسيمان ، تاريخ الحروب ، ج٢ ، ص٤٩٨ – ٤٩٩ ؛ عاشور ، الحركة الصليبية ، ج١ ، ص٤٨٥ .

٧٦- البيشاوي ، الممتلكات الكنسية ، ص ٢١٦ .

٧٧- ماير ، تاريخ الحروب ، ص ٢٥١ .

٧٨- ألياس القطار ، " المجتمع الصليبي في صور في العهد الفرنجي " ، ضمن أعمال المؤتمر الثاني لتاريخ مدينة صور (صور : ١٩٩٧م) ، ص ١١٤ – ١١٥ .

٧٩- ماير ، تاريخ الحروب ، ص ٢٢١ .

٨٠- البيشاوي ، الممتلكات الكنسية ، ص ١٣٠ – ١٣١ ، ١٤٢ .

٨١- كروسيه ، الحروب الصليبية ، ص ٩٨ ؛ ماير ، تاريخ الحروب ، ص ٢٥٠ .

٨٢- الفيكونت : وهو من أهم موظفي الادارة ينوب عن الملك الصليبي في ادارة شؤون الوحدات الاقطاعية الكبرى ويتولى جباية الضرائب المحلية ويرسلها الى خزينة الدولة الصليبية ، وكان مسؤولا عن المحاكم المحلية وعن حفظ الآمن بوجه عام . ينظر : رنسيمان ، تاريخ الحروب ، ج٢ ، ص ٤٨٨ .

٨٣- البرجوازي : صفة لاحد أفراد الطبقة المتوسطة الذي لا يعمل بيديه خلافاً للعامل والفلاح . ينظر : مجدي وهبة وآخر ، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، ط٢ ، (بيروت : ١٩٨٤م) ص ٧٧ .

٨٤- البيشاوي ، الممتلكات الكنسية ، ص ٣٨٦ .

٨٥- رنسيمان ، تاريخ الحروب ، ج٢ ، ص ٤٩٩ ؛ باركر ، الحروب الصليبية ، ص ٦٤ – ٦٥ .

٨٦- الاسبتارية : يعد تنظيم الاسبتارية من أقدم التنظيمات الدينية العسكرية التي شهد الوجود الصليبي في بلاد الشام قيامها ، ويعود الفضل في تأسيسها الى مجموعة من تجار مدينة أمالفي الايطالية وذلك عندما قامت في سنة ٤٧٣هـ/١٠٨٠ ، بانشاء مستشفى للعناية بالحجاج النصارى الغربيين العائدين الى الاراضي المقدسة ، كان اسلوب حياتها قائماً على مبادىء الفقر والعفة والطاعة بل نذروا أنفسهم لقتال المسلمين . ينظر : محمد مؤنس عوض ، تاريخ الحروب الصليبية التنظيمات الدينية الحربية في مملكة بيت المقدس الصليبية (عمان :٢٠٠٤م) ، ص ٣١ – ٣٥ .

٨٧- الداوية: منظمة عسكرية تطلق على جماعة فرسان المعبد ، وقد أسس هذه الجمعية هيو باينز HAGH PAYNS في سنة ٥١٢هـ / ١١١٨م لحماية طريق الحجاج النصارى بين مدينتي يافا والقدس ثم تحولت الى منظمة عسكرية كان لها دور كبير في ارهاب المسلمين وقتلهم ومساندة الحملات الصليبية على بلاد الشام . ينظر : عوض ، تاريخ الحروب ، ص ٣٩ – ٤٠ .

٨٨- ماير ، تاريخ الحروب ، ص ٢٥٠ .

٨٩- ماير ، تاريخ الحروب ، ص ٢٥٠ .

٩٠- البيشاوي ، الممتلكات الكنسية ، ص ٤٥٣ .

٩١- للمزيد من التفاصيل عن معركة حطين ونتائجها على الصراع الاسلامي الصليبي . ينظر : العماد الاصفهاني ، الفتح القسي ، ص ١٧ – ٢٣ ؛ بهاء الدين يوسف بن رافع بن شداد ، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسيفية المسمى سيرة صلاح الدين الايوبي ، تحقيق : جمال الدين الشيال (القاهرة : ١٩٦٤م) ، ص ٧٥ – ٧٩ ؛ سهيل زكار ، حطين مسيرة التحرير من دمشق الى القدس (دمشق : ١٩٨٤م) ؛ عبدالجبار محمود السامرائي ، " معركة حطين دراسة تاريخية عسكرية " ، مجلة المورد (بغداد : ١٩٨٧م) ، م١٦ ، ع١٤ .

٩٢- حصن الكرك : اسم لمعقل يقع في أطراف بلاد الشام بين مدينة إيلة والبحر الاحمر شيده الصليبيون في سنة ٥٣٧هـ/١١٤٢م فوق قمة جبل شاهق تحيط به الاودية من ثلاث جهات . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص ٤٥٣ .

٩٣- البيشاوي ، الممتلكات الكنسية ، ص ٣٣٢ .

٩٤- رنسيمان ، تاريخ الحروب ، ج٣ ، ص ١٨٣ .

95- STEVEN , THE CRUSADERS , P.312 .

٩٦- البيشاوي ، الممتلكات الكنسية ، ص ٣٣٣ – ٣٣٥ .

٩٧- عين جالوت:بلدة من اعمال فلسطين تقع بين بيسان ونابلس.ينظر:ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤ ،ص١٧٧ .

٩٨- طارق فتحي سلطان ، تاريخ الدولة الاسلامية في العصر العباسي (الموصل : ٢٠٠٦م) ، ج٢ ، ص ٢٧٩ .

٩٩- باركر ، الحروب الصليبية ، ص ٦٧ .

Abstract

Religious Institute in Crusade Qudis

This paper aims at shedding light on the religious life that Latin religious men have lived in sacred lands during the age of Crusade . It also aime at clarifying their role in establishing religious nation in Islamic East , but their controversies and division in to many parties .

This paper deals with the policy of religious men in the sacred lands and their work in building a number of churches and abbeys in the land which they occupy according to the religious need for new European setters coming from west into east . Above all , this paper tackles the struggle and the competition between the religious authority represented by the Bataries of AL- QUDIS and the contemporary authority represented by the crusade Kings concerning the demonstration of rule s rudder in Crusade nation . In addition to the forfeits that face religious in statute after the victory of Muslims on the Crusade in Huteen battle 583 A.H-1187 A.D and what

accompanies that of AL-QUIDS Batarics loss of the centers of bishops and most of the churches , Among the most important of them are : Doomsday church and the Cradle Church . Bessdes the increasing of Islamic political activity against Crusade factories , especially , after Een Jaloot battle 658A.H-1260 A.D until the libration of all the Islamic lands and dismissing Crusaders in 690 A.H-1261A.D.